الإعاقة الجسدية بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط.

د. سعيد بنحمادة*†

تعد السلامة الجسدية هي الأصل في الإنسان؛ وهي المقصودة بالصحة، ونقيضها المرض؛ لذلك فإن "حد المرض مفهوم من حد الصحة، إذ كان مقابله. ولما كانت الصحة هي حال في العضو بها يفعل الفعل الذي له بالطبع، أو ينفعل الانفعال الذي له؛ لزم ضرورة أن يكون المرض حالة في العضو بها يفعل على غير المجرى الطبيعي أو ينفعل"[1].

ولذلك نصت المصادر على من توفّر على حالة بدنية سوية، تمييزا له عمن كان يعاني من إعاقة، من قبيل من "كان ممتعا قوي الأعضاء مصححا"[2]، أو من كان "ثابت... البصر"[3].

إن هذه الإشارات حول الإعاقة، تدل على تنبه المصادر إلى الصحة الجسدية في العصر الوسيط، وما اعتراها من خلل نجمت عنه بعض الإعاقات، جعلت المعوقين يشكلون فئة اجتماعية بالمغرب والأندلس وقتئذ.

ومما يعضد ذلك، أن بعض تلك المصادر، ميزت بين القول النظري، والرصد الواقعي، مما حذا بها في الشق الأول إلى الاستناد إلى ما جاء من أخبار عن الإعاقة والمعوقين في الكتب المشرقية، التي كان لها قصب السبق في ذلك؛ منها كتاب "المثالب"، الذي شهَّر فيه الهيثم بن عدي (ت. 207هـ/822م) بالمعوقين[4]. أما الجاحظ (ت.355هـ/965م) فألف كتاب "البرصان والعرجان والعميان والحولان"، ليعكس من خلاله نظرة العرب إلى ذوي الإعاقة، وتعاملها الإنساني الرفيع معهم، لما يتوفرون عليه من إرادة على التعايش مع إعاقتهم؛ إلى حد أن "جماعة فيهم كانوا يبلغون مع العرَج ما لا يبلغه عامة الأصحاء، ومع العمى يدركون ما لا يدرك أكثر البُصَراء"[5]. وقد فصل في أنواع الإعاقات والمعوقين، وذكر منها العرجان، والأشل والأقطع؛ أي المقطوع إحدى اليدين، والأضجم؛ الذي اعوج أنفه مائلا إلى أحد جانبي الوجه، والأفقم الذي خرج أسفل لحيه ودخل أعلاه إلى الخلف، وصاحب اللقوة الذي اعوج منه

* أستاذ التعليم العالي مساعد في تاريخ المغرب الإسلامي، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، مكناس، المغرب.

الشدق، والقصير القامة، والأحدب[6].

كما حظيت الظاهرة باهتمام الباحثين المعاصرين؛ منهم مصطفى بنحمزة في كتابه "حقوق المعوقين في الإسلام"، الذي تناول فيه مظاهر عناية الإسلام بالمعوقين، من خلال استعراضه لبعض الجوانب الفقهية المؤسسة لحقوق المعوقين، وإبراز أنمـاط التعامل الإيجابي للمجتمعات الإسلامية معهم ومستويات الارتقاء الاجتمـاعي الذي بلغه بعض المعوقين[7].

وإذا كان من الصعب إصدار أحكام قيمة عن وضعية المعوقين بالمغرب والأندلس في العصر الوسيط، في ظل عدم وجود دراسات وافية في الموضوع، حسب اطلاعنا؛ فإن ذلك لا يمنعنا من تناول الظاهرة وقف مقاربة مفهومية، وربطها بالبعد الحقوقي للمعوقين من خلال كتب الأحكام والفقه، وتعزيزها بما أمكننا الوقوف عليه في غيرها من المتون المصدرية؛ لأن من شأن ذلك أن يسعفنا- قدر الإمكان- في الوقوف على الوضعية الاجتماعية للمعوقين بالعدوتين في المرحلة المذكورة.

مفهوم الإعاقة وأنواعها: اتخذت الإعاقة الجسدية مفهوما تداخلت فيه عدة أبعاد، منها الطبي والقانوني والاجتماعي، الذي غذاه المخيال الشعبي. فقد ارتبط الصمم، طبيا، بما يلحق الأذن من حوادث تؤثر على السمع؛ "فإنه يعرض لها إما أن تبطل، وذلك إما لسوء مزاج، وإما لسدة في آلة هذه الحاسة، وهي الأذن. ومن هذه بعينها يعرض لها أن تنقص"[8]. وكذلك العين المقترنة بالبصر؛ فهذه الحاسة "تدخل عليها الآفات أيضا من ثلاثة أوجه: وذلك إما أن لا تبصر أصلا ويسمى ذلك عمى؛ وإما أن تضعف ويسمى ذلك عشا"[9].

وتندرج الإعاقة ضمن الأمراض المزمنة[10]، وما يتبع ذلك من آثار ترتبط بالعقود والالتزامات[11]، القائمة على الإدراك والتعلم، باعتبارهما دليلا على الصحة العقلية والحسية، مما يمكنّ من الإدلاء بالشهادة في المحاكم مثلا؛ "فأحد الوجوه التي يدرك بها العلم ... العقل مع الحواس الخمس، حاسة السمع، وحاسة البصر، وحاسة الشم، وحاسة الذوق، وحاسة اللمس؛ فيدرك بالعقل مع حاسة السمع الكلامُ وجميع الأصوات والمسموعات. ويدرك بالعقل مع حاسة البصر جميعُ الأجسام والأعراض والأشخاص والمبصرات. ويدرك بالعقل مع حاسة الشم جميعُ الروائح المشمومات. ويدرك بالعقل مع حاسة الذوق جميعُ الطعوم المذوقات. ويدرك بالعقل مع حاسة اللمس جميعُ الملموسات على اختلافها في اللين والخشونة وما أشبه ذلك"[12].

وعليه؛ فإن الأسرة هي أولى المؤسسات الاجتماعية التي تأثرت بحالة الإعاقة الجسدية بالعدوتين خلال العصر الوسيط، ومن ذلك ما يتعلق بعيوب الزوجين والحضانة؛ إذ لا ترد "المرأة إذا وجدت عمياء، أو عوراء، أو قطعاء، ...أو شلّاء، ...إلا أن يشترط السلامة مما ذكرنا"[13]. أما الحضانة فتسقط "بأربعة أشياء ...العمى والصمم والقعد، والخرس مثل ذلك"[14].

والأمر نفسه في العبيد، الذين تندرج إعاقتهم ضمن العيوب التي يرد بها الرقيق، وهي فيما يخص العاهات الجسدية؛ البتر في الأطراف، والشلل، والعمى، والعور، والصمم، والخرس، والحدب[15]. ولذلك كان العبد الأعمى يسمى بـــ"قائم العينين"؛ وهو "الذي لا يبصر بهما، وهو عيب"[16]. وقد تعلق العتق، في كثير من الحالات أيضا، بنوع الإعاقة وظروف حدوثها؛ فقد استفتي ابن رشد (ت.520هـ/1126م) في جارية لدى "امرأة، عقدت لها عتقا قبل السبب الذي تكون منه وفاتها بشهر، وشرطت في العقد أنها إن تعوقت أو تخلفت أو أبقت فلا عتق لها، ويبطل ما عقدته من عتقها؛ فثبت تخلفها وتعوقها، وأرادت السيدة بيعها"[17].

وقد استوجب ذلك، ضرورة مراعاة خصوصيات المعوقين عند وضع التشريعات والعقود، وهو ما فرض تخصيصهم بما يمكن نعته بـــ"عقود المعوقين"، وهي وثائق تنص على طبيعة إعاقاتهم وما يترتب عنها في المعاملات والعلاقات الاجتماعية؛ مثل إدراج العميان ضمن فئات المرضى المنصوص عليهم في وثائق التحبيس[18].

ونذكر من ذلك ما يهمّ العبد الأصم؛ فمن الحيثيات التي يتضمنه العقد النموذجي الخاص به، أنه "يجوز بيع الأصم الأبكم وشراؤه إذا فهم عنه الشهود فهما يقطعون بمعرفته بذلك بإشارته؛ فإن كان أبكم أصم أعمى لم يجز شيء من عقوده كلها إلا في المعاملات ولا في المناكحات. والأعمى الناطق السميع على ضربين: أعمى منذ ولد؛ فهذا لا تجوز معاملته في البيع والابتياع، بجهله بالبيع،... وأعمى بعد أن كان بصيرا؛ فيجوز بيعه وابتياعه بالصفة، كبيع الشيء الغائب"[19]. كما تم التنصيص على قبول شهادة الأخرس باستعمال الإشارة، ومثله في ذلك الأعمى[20].

أما في البيوع؛ فالضرورة توجب أن تتضمن العقود شرط السلامة الجسدية للمتعاقدين تفاديا لأي تدليس؛ كأن يقال مثلا عن المرأة التي تكون طرفا في العقد: "هي مضجعة الفراش، صحيحة من عقلها وثبات ذهنها"[21]. والالتزامات الناجمة عن ذلك تتضح من خلال الوقوف

على بعض الجوانب المتعلقة بفقه "بيع المريض"؛ إذ إن "مراعاة فعل المريض في ماله يوم البيع لا يوم الحكم؛ فإن كان فيه محاباة، روعي في ذلك ثلث ماله، ثم إن حالت أسواق المبيع بعد ذلك في أيام النظر لم يضر ذلك، وكذلك إن زادته، ولو اختلفت الحال في المحاباة نظر في ذلك إلى الأقل، فجعل الثلث فيه. وإن كان مرضه من الأمراض المزمنة؛ مثل... الإقعاد، كان فعله في ماله في رأس المال"[22].

ومن ثم، فإن الإعاقة عموما، وقف ذلك المنظور، يقصد بها التفاعل المتبادل بين الحالة الصحية والعوامل الظرفية- الشخصية أو البيئية- المرتبطة بمحيط الشخص. وبناء على ذلك، فإن تحليل تاريخ الإعاقة على أساس النموذج المفهومي، قد يسهم في معرفة الحواجز الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي حالت دون تحقيق المشاركة الاجتماعية لبعض الأشخاص في وضعية إعاقة.

كما أن تلك الرؤية تساعد على الإجابة عن عدة تساؤلات إشكالية متعلقة بموضوع تاريخ الإعاقة؛ ومنها طبيعة التمثلات الذهنية، والمواقف الاجتماعية المتعلقة بمفهوم الإعاقة ووضعية المعوق؛ ونوع التدابير المتخذة من قبل المجتمع والدولة للحد مما يكون قد تعرض له المعوقون من تمييز أو سخرية أو تجريح أو غيرها من المعاملات القاسية وغير الإنسانية أو المهينة، أو كل ما من شأنه أن يمس بكرامتهم؛ وما تم القيام به لمحاربة الصور النمطية. وهو ما يحتم ضرورة ربط الإعاقة الجسدية بالمغرب والأندلس بالنظام التعليمي، ومدى ولوج المعوقين للخطط الإدارية، والاستفادة من الخدمات الصحية، وما إذا كان هناك تنبه للظاهرة بالعدوتين في الفترة المعنية بالبحث، وغيرها من القضايا والمجالات المتعلقة بـــ"سوسيولوجيا الإعاقة" في المرحلة الوسيطية.

أنواع الإعاقات الجسدية وأسبابها: تنوعت الإعاقات الجسدية، وهمّت كل الفئات الاجتماعية من رجال ونساء وأطفال. وهي إما إعاقات جسدية، أو حسية. فأما الإعاقات البدنية؛ فنجد من كان أعرجا[23]، أو مشلول الرجل[24]، أو مقعدا[25]، أو أحدبا[26]، أو من كان أبيض الأشفار والحاجبين والرأس واللحية[27]، أو من كان قصير القامة[28].

وأما الإعاقات الحسية؛ فمنها الحَوَل[29]، والعور[30]، والعمى[31]، والبكم والصم، اللذان طالما اقترنا ببعضهما؛ إذ "قلما يوجد أبكم إلا وهو أصم"[32]؛ لذلك تتحدث المصادر عمّن

"كان أصم أصلخ"[33]، والتمتمة[34]، واللثغ[35].

وقد اختلفت أسباب الإعاقة باختلاف أنواعها، ويمكن تصنيف تلك الأسباب إلى أسباب خِلقية، وأخرى مكتسبة.

أ- الأسباب الخلقية: وتمثلها معظم الحالات، التي ولد بها الكثير من المعوقين، بسبب زواج القرابة أحيانا؛ فيحيى بن عبد الرحمن، المعروف بالأبيض (ت.263هـ/876م)، "كان أبيض الرأس واللحية والحاجبين وأشفار العينين، خِلقة، ولذلك كان يقال له: الأبيض، ...[لأن] أمه كانت أخت أبيه من الرضاعة، فظهرت فيه هذه الآية"[36]، ومنهم من كان أحدبا، فجمع بين الإعاقة وسواد البشرة[37]، أو من «كان قصير القامة جدا"[38]، أو من كان ألثغا[39]، ومنهم من جمع بين إعاقتين؛ إذ كان أحد طلبة الحضر الموحدين «قصير القامة، صغير الهامة، كوسجا أعرج"[40].

ب- الأسباب المكتسبة: وكانت متعددة؛ فهي إما طبيعية، أو مرَضية، أو نتيجة بعض الحوادث؛ لأن "المرض الطارئ... إنما يكون... إما من قبل الطبيعة، وإما من قبل الأشياء التي من خارج،... وقد يكون ذلك من قبل المعالجة الرديئة"[41]. فأما الاعتبارات الطبيعية، فمنها التقدم في السن، الذي كثيرا ما سبب العديد من الإعاقات، ومما يمكن ذكره في هذا الصدر ما يرتبط بالشيخوخة والعمى؛ إذ كثيرا ما تطالعنا كتب التراجم بعبارة «عمي في آخر عمره"[42]؛ فمالك بن علي بن مالك القطني الزاهد القرطبي (ت.268هـ/881م)، "روى بالأندلس، ...وكان ورعا محتسبا، وكف بصره"[43]. ومحمد بن عبد الملك بن فرج (ت.330هـ/941م)، "ذهب بصره في آخر عمره"[44]. وحسن بن سلمون، من أهل قرطبة (ت.335هـ/946م)، "كف بصره، فلزم الدعة والانقباض"[45]. أما هاشم بن أحمد بن غانم (ت.359هـ/969م)، فـ"كف بصره قبل موته بخمسة أعوام"[46]. ومحمد بن عبد الملك الخولاني النحوي (ت.364هـ/974م)، فـ"سمع الناس منه، وكف بصره قبل موته بأعوام"[47]. ويعيش بن سعيد الوراق، المعروف باب الحجام (ت.364هـ/974م)، الذي "ذهب بصره بآخره"[48]. ومحمد بن يحيى بن الخزاز (ت.369هـ/979م)، الذي "ولي الصلاة بقرطبة، وتصرف في خطة القضاء بمدينة طليطلة ومدينة باجة ودوراتها، وولي أحكام الشرطة، وأقعد في آخر عمره، فلزم داره نحوا من تسعة أعوام، فسمع الناس أكثر روايته، واختلف إليه للسماع منه قبل موته بعام"[49].

ومحمد بن وازع الضرير (ت. 374هـ/984م)، الذي "رحل إلى المشرق، ...وانصرف إلى الأندلس، وكفّ بصره"[50]. وإبراهيم بن عبد الله بن موسى الغافقي، المقرئ، من أهل إشبيلية، وصاحب الصلاة بجامعها، يكنى أبا إسحاق (ت.425هـ/1033م)، الذي "توفي ...وهو ابن خمس وسبعين سنة، وكان قد كف بصره"[51]. وأحمد بن ثابت بن أبي الجهم الواسطي، منسوب إلى واسط قبرة، سكن قرطبة، يكنى أبا عمر (ت.437هـ/1045م)، الذي "أمّ بمسجد بنفسج [بقرطبة] مدة من ستين سنة، وكف بصره"[52]. وأبو عامر سيد بن أبان بن سيد الخولاني، من أهل إشبيلية، (ت.440هـ/1048م)، الذي "توفي ...بعد أن كف بصره وهو ابن سبع وثمانين سنة"[53]. وأبو القاسم وليد بن عبد الله بن عباس الأصبحي، المعروف بابن العربي، من أهل قرطبة (ت.449هـ/1057م)، الذي "توفي ...عن سن عالية لتسعين أو قريبا منها، كان قد تعطل قبل وفاته بمدة طويلة، أقعدته عن التصرف وحضور المسجد الجامع"[54]. وأبو الحجاج يوسف بن عيسى بن سليمان النحوي المعروف بالأعلم (ت.476هـ/1083م)، الذي "كف بصره في آخر عمره"[55]. وكذلك كان حال أحمد بن عبد السلام بن زياد اللخمي، من أهل ريه (من أهل القرن 4هـ/10م)، الذي "كف بصره في آخر عمره"[56]. وأبي العاص حكم بن إبراهيم المرادي، سرقسطي (من أهل القرن 4هـ/10م)، الذي "عاش إلى أن سن وكفّ بصره"[57]. وأبي القاسم خلف بن محمد بن صواب اللخمي، من أهل قرطبة (ت. 510هـ/1116م)، الذي "كفّ بصره في آخر عمره، وعمّر وأسن"[58]. وإبراهيم بن أحمد البصري (ت.513هـ/1119م)، الذي "ولي قضاء سبتة، ...ثم استعفي من ذلك، ثم وليها أخرى ...إلى أن استعفي منها بضعفه عنها، ...وحرر آخر عمره، فتعطل إلى مات"[59]. وغالب بن عطية المحاربي (ت.518هـ/1124م)، الذي "كفّ آخرا بصره"[60]. والقاضي أبي الوليد، يعرف بابن البقوة (ت.530هـ/1135م)، الذي "توفي... بغرناطة... عن سن عالية وقد تغير وتعطل"[61]. وأحمد بن محمد بن بقي بن مخلد (ت.532هـ/1137م)، الذي "توفي،... عن سن عالية وقد أصيب بصره"[62]. وأبي الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي (ت.538هـ/1143م) الذي "توفي بقرطبة من زمانة طاولته من ثلاثة أعوام إلى أن قضت عليه"[63]. وأبي الحسن شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن شريح الرعيني، القاضي المقرئ (ت.539هـ/1144م)، الذي "تقلد خطبة إشبيلية نحوا من خمسين سنة، وولي قضاء إشبيلية سنين، ولم يقطع الإقراء والأخذ

عنه في تلك المدة، إلى أن صرف فلزم الإقراء والسماع والقيام بالخطبة والصلاة إلى أن أقعده الكبر عن ذلك، ولم يقدر على التصرف ولزم داره، فاستخلف على الصلاة، وأخذ الناس عنه إلى أن أعطله الكبر والخرف"[64]. وأبي الحسن علي بن عبد الله بن يوسف بن خطاب بن خلف بن خطاب المعافري الإشبيلي، (ت.629هـ/1231م)، الذي كان "فقيها ظاهري المذهب، ...استقضي بإشبيلية وقتا، واستنابه القضاة بها كثيرا في الأحكام، وكف بصره بآخره فلزم داره إلى أن توفي، ...وهو ابن ثمانين سنة"[65]. وأبي عبد الله السائح (من أهل القرن 8هـ/14م)، من أهل سلا، كان "مذهبه السياحة في الفلوات، والتجرد للعبادات إلا أنه في التاريخ بلغ به السن إلى غاية لا يستطيع على المشي والجولة، فاستقر بسلا"[66].

وأما الدواعي المرضية، فنذكر منها ما يصيب السمع من ثقل[67]، والعينين من حَوَل[68]، وأوجاع الوركين، الذي أدى إلى إقعاد إحدى النساء بفاس[69]، وشدة البرودة، من أثر الثلج، المفضية إلى قطع الرجلين[70]، وما أحدثه الطواف بالحج لأحد المغاربة بسبب شدة الحر، حتى "صار من المقعدين الزمنى"[71].

ولم تكن الأخطاء الطبية لتغيب عن الأسباب المحدثة للإعاقة؛ فعبد الله بن سعيد بن عبد الله الأموي، المعروف بابن الشقاق (ت.426هـ/1034م)، كان "سبب موته أن عينه رمدت، فأشير عليه بالفصد ففصد، والوقت حمّارة القيظ، فانهدت قوته، وفنيت رطوبته، وتكسع في علته ثلاثا، ثم قضى نحبه"[72]. كما تحدثت كتب النوازل عمن "كدم أصبع رجل فقطعه؛ فاشتد عليه الأمر وانتفخت يده وتساقط لحمها وظهر العظم، ورآه الطبيب فأمر بالقطع؛ فأذن له فقطع يده فمات"[73].

وللحد من مثل هذه الأخطاء، كان لا بد من تقنين الممارسة الطبية بالمغرب والأندلس، مما جعل الأطباء والصيادلة يستندون في التنظير، للشؤون الصحية، إلى الاستقراء، لكونه يسعف في إثبات القواعد والمبادئ، وهو ما أدى إلى اعتماد المعرفة الطبية على مقدمات نظرية وكليات منهجية ونتائج تجريبية، مستمدة من علم المنطق، وخاصة ما تعلق بالمقولات والقياس والبراهين[74]؛ ففي تقديرهم أن "الأَوْلى لمن لم يتدرب في علم المنطق ألا ينظر في الطب الذي يكون عن القياس وعلم الطبائع، ويقتصر على الذي يكون عن التجربة حتى يتدرب في صناعة المنطق، لأن من لم يتدرب على تلك الصناعة كان جديرا أن يخطئ"[75].

أما على مستوى الممارسة فقد استشنع الأطباء الأخطاءَ الطبية وتشددوا في معاتبة مرتكبيها ومتابعتهم تحت طائلة المسؤولية التقصيرية، حتى يتم التصدي لمن "لم تكن لهم بصارة بصناعة الطب"[76]، ولـ"جهال الأطباء"[77]. منوهين في الوقت ذاته بـ"الطبيب من أهل البصر والعدل"[78]. ما دام أن الطب والصيدلة من الوظائف التي "فيها حياة العالَم"[79]؛ وأن قلة تجربة الطبيب وعدم تبصره "فيه إتلاف المهج، وخطأ الطبيب التراب يستره"[80].

وأما الأسباب المتعقلة ببعض الحوادث، فمنها مثلا تعرّض الرأس للضرب؛ فقد ضرب رجل "على رأسه وعلى حقويه؛ فذهب أمّ رأسه، وزال عقله وبصره وسمعه وأسنانه واسترخت أنثياه حتى بلغت ركبتيه"[81]. كما قد يؤدي ضرب الأذنين إلى ثِقْل السمع، وهو المسمى بالطرش، وخاصة إذا أفضى ذلك إلى نزيف خارجي، يتعذر معه العلاج[82]. وفيما يشبه ذلك من الحوادث المسببة للإعاقة أن رجلا "ادعى على جزار أنه اختلف معه على شيء؛ فألقى يده في سكين كان بيد الجزار؛ فاجتذبها الجزار من يده فقطع ثلاثة أصابع من يده"[83]؛ فكان الحكم بـأن "يسجن الجزار، لأن هذا يمكن أن يكون من أفعالهم"[84]. وفي حادث مماثل أن عبدا فقأ عين الشاهد على عتْقه[85]. وبالمثل كان أبو محمد جِلِّداسْن بن إسحاق الرّكوني (ت. 570هـ/1174م)، "أقطع اليدين من الكفين، وسبب ذلك أنه صعد وهو صغير على شجرة تين، فسقط عنها على كفيه، فانكسرت يداه، فاعتلتا حتى سقطتا"[86]. كما تعرض أحد المغاربة في إحدى عينيه لضربة بسكين عجز الطبيب عن مداواتها[87]. أما غيره؛ فقد "قعد على البحر في ظل قارب لينفذ بعض أشغاله؛ فمال عليه القارب، فشدخه وانكسرت يده، وحمل على أسوأ حال، ...فقاسى مشقة، وتعطلت يده"[88].

وقد تكون الإعاقة بسبب جرائم اللصوصية؛ فإسحاق بن مطهر، من قبائل بني ورياغل شمالي المغرب (من أهل القرن 7هـ/13م)، كان "يعرف في وقته بالأعرج، لأنه خرج عليه اللصوص ليلا في مسجد من بلاد سدراتة حين قراءاته فيها؛ فأصيبت رجله فعرج منها عرجا شديدا"[89].

كما أسهمت المشاركة في الحروب في إلحاق الإعاقة ببعض الجنود؛ فعلي بن رباح اللخمي المصري، وهو تابعي دخل الأندلس (ت. بعد 114هـ/732م)، "كان أعور، ذهبت عينه يوم ذي الصواري في البحر مع عبد الله بن سعد، سنة أربع وثمانين [84هـ/703م]"[90].

إضافة إلى طول السهر على ضوء الشمع، مما أضر بالعينين؛ فأبو عبد الله محمد بن محمد بن

محمد بن يوسف بن نصر (701- 708هـ/1301- 1308م)، ثالث ملوك بني الأحمر بغرناطة، "كان الدهر ضايقه في حصة الصحة، ونغّصه ملاذ الملك بزمانة سَدِكَت بعينيه؛ لمواصلة السهر، ومباشرة أنوار ضخام الشمع؛ إذ كانت تتخذ له منه جذوع في أجسادها مواقيت تخبر بانقضاء ساعات الليل، ومضي الهزيع"[91].

زيادة على إجهاد العين بالبكاء، مما ذهب ببصرها، وهي من الإعاقات التي كانت تصيب المتصوفة على الخصوص؛ فأبو أيوب سليمان بن عبد الغافر الأموي القرشي الزاهد، سكن قرطبة (ت.400هـ/1009م)، "بكى من خشية الله حتى كف بصره"[92]. وأبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيب، المعروف بابن الصفر (ت.429هـ/1037م)، "كان الدمع قد أثر في عينيه وغيرها لكثرة بكائه"[93]. وأبو الحسن عبد الرحيم بن قاسم بن محمد، من أهل الفرج (ت.543هـ/1148م)، "كان ديّنا فاضلا خيّرا، كثير الصلاة، صاحب ليل وعبادة، كثير البكاء حتى أثر ذلك بعينيه"[94]. وأبو زكرياء يحيى بن صالح المصطاوي (من أهل القرن 6هـ/12م)، وهو من أولياء مراكش، "ما زال يبكي إلى أن سقطت عيناه من كثرة البكاء"[95]. وأبو محمد عبد الله المجاطي (ت.741هـ/1340م)، الذي "بكى حتى كف بصره، وضعف نظره أو عدم"[96]. في حين أبِقت مملوكة لسيدها؛ "فبكت عليها حتى عميت ببكائها"[97].

كما كان الدعاء على النفس سببا آخر للإعاقة الجسدية من كثرة الزهد في الدنيا؛ فأبو محمد موسى بن هذيل بن تاجيت البكري، المعروف بابن عبد الصمد، من أهل قرطبة (ت.462هـ/1069م) في زمن ملوك الطوائف بالأندلس، "عزم عليه محمد بن جهور أن يوليه القضاء بقرطبة، فقال له: أخِّرني ثمانية أيام حتى أستخير الله، فأخره، فعمي في تلك الأيام، فكانوا يرون أنه دعا بذلك على نفسه"[98]. وأبو داود مزاحم (من أهل القرن 7هـ/13م)، كف بصره "في آخر عمره، ...وكان سببه أنه رأى ماشية له تأكل عيون شجر له، فساءه ذلك، فهلكت الماشية من يومها، وكانت مَعزا، فناله من ذلك تغير، فقال: يا رب إن بصري قد شوش علي، فاكفني شأنه، ...فكف بصره من حينه"[99].

وفي الوقت نفسه كان لدعاء المتصوفة على الغير نصيب في إصابتهم بالإعاقة؛ إذ أصيب أحد الأشخاص بالشلل بفعل دعاء أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي المقرئ (ت.437هـ/1045م) عليه[100].

علاوة على ذلك، فقد أصيب البعض الآخر بإعاقات جسدية، وإن لم تفصح المصادر عن الأسباب الكامنة وراء ذلك؛ إذ تتحدث مثلا عمّن كان أعور[101]، أو من "كف بصره في حداثة سنه"[102].

الإعاقة والمجتمع: تتباين المظاهر التي تعكس مكانة المعوقين بالمجتمع؛ منها درجة اندماجهم، ونظرة الآخر إلى المعوق، ونفسية المعوقين أنفسهم.

والملاحظ أن الفقه المالكي بالمغرب والأندلس ضَمِن للمعوقين حقوقا، وأوكل للقضاة حمايتهم؛ إذ اعتبر ذلك من اختصاصات القاضي، الذي من مهامه "استيفاء الحق لمن طلبه، ...وإلزام الولاية للسفهاء والمجانين، ...ووجوه التسوية في الحكم بين القوي والضعيف، وتوخي العدل بين الشريف والمشروف"[103]. وهو ما كان ييسر لهذه الفئة الاندماجَ الاجتماعي والثقافي بالعدوتين.

غير أن تدخل القضاة، لم يكن ليسلم من بعض المشاكل؛ فحمق أحد القضاة بتاهرت مثلا أدى ثمنه أحد المتقاضين؛ إذ "كان فيها قاض من أهلها، وقد أتى رجل جنى جناية ليس لها في كتاب الله حد منصوص ولا في السنّة؛ فأحضر الفقهاء، فقال: إن هذا الرجل جنى جناية وليس في كتاب الله حكم معروف، فما ترون؟ فقالوا بأجمعهم: الأمر لك، قال: فإني رأيت أن أضرب المصحف بعضه ببعض ثلاث مرات، ثم أفتحه فما خرج من شيء عملت به، قالوا: وفقت؛ ففعل بالمصحف ما ذكره، ثم فتح فخرج قوله تعالى: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ [القلم: 16]؛ فقطع أنف الرجل وخلى سبيله"[104].

وبذلك تتبادر إلى الذهن أهمية سلامة الحواس باعتبارها من الشروط اللازم تحققها لتولي المسؤولية في تدبير الخطط الإدارية؛ ومنها صحة السمع والبصر والكلام؛ فهذه «خصال لا يجوز أن يولى القضاء إلا من اجتمعت فيه؛ فإن ولي من لم تجتمع فيه، وجب أن يعزل متى عثر عليه، ويكون ما مضى من أحكامه جائزة"[105]. كما أنه "لا خلاف بين المسلمين أن من هو في محل الغباوة... لا ينبغي أن يتقلد شيئا من أمور المسلمين لعدم الخطاب، والوقوف على مراسيم الكتاب"[106].

أما بعض الخطط الأخرى فلم تكن تتطلب مثل ذلك التضييق في الشروط، وخاصة إذا كانت الإعاقة لا تحول دون القيام بها؛ فعلى عكس القاضي، استثُني العمى من إمامة الجمعة[107]،

كما هو حال أبي عبد الله محمد بن علي الأزدي الطليطلي، المعروف بالريوطي ت. 503هـ/1109م)، مثلا؛ فقد "كان شيخا نبيها، راوية، سمع من جماعة من شيوخ طليطلة وغيرهم،... وكان أعمى، وولي الخطبة، وصلاة الجمعة بفاس، ووليها أيضا [بسبتة] مدة مديدة إلى أن توفي"[108].

والأمر ذاته تحقق في الوظائف الأخرى؛ فأبو محمد بن هشام بن الليث اليحصبي، من أهل القيروان، سكن قرطبة (ت.343هـ/954م)، "نظر في الأوقاف، ...وكان أعور"[109]. ومحمد بن أحمد الفارسي، من أهل القيروان، سكن قرطبة (ت.359هـ/969م)، "كان خيرا فاضلا، متمسكا بالسنة، شديد الإنكار على أهل البدع، صليبا، وامتحن في ذلك، ...وكان أعور"[110]. وأبو القاسم خلف المقرئ، مولى جعفر الفتى، من ساكني طلبيرة (ت. بعد 408هـ/1017م)، "كان يسكن المسجد، ويقرأ عليه، ويحاول عجن خبزه، وقوته بيده. وكان قصيرا مفرط القصر، وكان فقيها يقظا"[111].

وكانت طبيعة النظام التعليمي بالمغرب والأندلس، من الوسائل التي يسرت الولوج الاجتماعي والثقافي لذوي الإعاقات، لكون المدارسة قامت في البداية على السماع، قبل أن تتراجع الرحلة العلمية لحساب التعليم المدرسي[112]. ولذلك فإن التعليم -وفق السماع أو "سند المشيخة"- سهّل انخراط المكفوف في الرواية[113]؛ فمحمد بن وسيم القيسي (ت. 352هـ/963م)، "كان أعمى، سمع بقرطبة، ... وسمع بطليطلة، ... وكان بصيرا بالحديث، حافظا للفقه، ذا حظ من علم اللغة والنحو والشعر، وكان شاعرا"[114]. وإسماعيل بن سيده، والد أبي الحسن بن سيده، من أهل مرسية (ت. بعد 400هـ/1009م)، "كان من النحاة، ومن أهل المعرفة والذكاء، كان أعمى"[115]. وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عوف، من أهل قرطبة (ت.434هـ/1042م)، "هو من بيت رئاسة وجلالة في الدنيا، ونصر مع السلاطين، كف بصره، فاشتغل بالفقه، ودرس فيه، وكان يقول: ذهب بصري فخير لي، ولو لا ذلك سلكت طريقة أبي وأهلي"[116]. وأبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، من أهل مرسية (ت.458هـ/1065م)، "ذكر الوقشي عن أبي علي الطلمنكي، قال: دخلت مرسية، فتشبث بي أهلها يسمعوا علي غريب المصنف، فقلت لهم: انظروا لي من يقرأ لكم، وأمسِك أنا كتابي، فأتوني برجل أعمى يعرف بابن سيده، فقرأه علي من أوله إلى آخره، فعجبت من حفظه. وكان

أعمى بن أعمى. ذكره الحميدي، وقال: إمام في اللغة والعربية حافظا لهما على أنه كان ضريرا، قد جمع في ذلك جموعا"[117]. وأبو سهل بن سليم بن نجدة الفهري المقرئ (ت. بعد 475هـ/1082م)، "من قلعة رباح، سكن طليطلة، أقرأ الناس القرآن إلى أن توفي.كان فاضلا نبيلا ضرير البصر"[118]. وأبو عبد الله محمد بن علي الربوطي (ت.503هـ/1109م)، "كان أعمى، صالحا، وسمع منه بعض الناس"[119]. وإبراهيم بن محمد الأنصاري، المقرئ، الضرير، يعرف بالمنقوني، سكن قرطبة، وأصله من طليطلة، يكنى أبا إسحاق (ت.517هـ/1123م)، كان ضريرا، ورغم ذلك، "كان يقرئ القرآن بالروايات، ويضبطها ويجودها"[120]. كما ساعد إحداث المدارس النظامية بالمغرب والأندلس خلال العصر المريني والنصري على وجود أساتيذ وطلبة قرّاء معوقين[121].

وقد شجعت هذه الظروف البعض من ذوي الإعاقة على التأليف، مثل أبي علي الماجري الكفيف، الذي صنف كتاب "الترجيح والتنقيح في الناسخ والمنسوخ"[122].

بل إن بعض المعوقين استطاع الوصول إلى السلطة، مستفيدا من الاضطرابات السياسية؛ فالصراعات بين أعيان مدينة باجة بالأندلس خلال فترة حكم الموحدين، انتهت بتولية "طالب بربري سخيف العقل، اسمه عمر بن سحنون، وكان قصير القامة، صغير الهامة، كوسجا أعرج، لا يفهم ولا يُفهم"[123].

ولم تمنع الإعاقة البعض الآخر من امتهان بعض النشاطات الاقتصادية؛ إذ كان بعض المكفوفين عمّالا زراعيين لدى أحد كبار الملاكين؛ وهم "ثلاثة شخوص عور العيون كواسج، وكانوا يعتمرون له ضيعة"[124].

ومن مظاهر الاندماج الاجتماعي كذلك، أن المعوقين كانوا يلجأون إلى بعض الوسائل لتفادي العزلة التي قد تفرضها عليهم إعاقتهم؛ فالعميان كانوا يعتمدون على العصي للاهتداء بها في الطريق[125]؛ والصم كانوا يتواصلون مع غيرهم بالإيماء الشفهي أو الإشارة في الهواء؛ فعبد الرحمن بن محمد بن عثمان الأموي القرطبي (ت.335هـ/946م)، "كان أصم أصلخ؛ فإذا أحب المرء إخباره كتب له في الهواء، أو رمز له بشفتيه، فيفهم ويكتفي بذلك"[126]. أما غيره فـ"كان أعرج لا يتصرف إلا بعصاه"[127]. في حين استعان أحد المقعدين على إعاقته -في الحج- بأن توجه أحد رفقائه إلى "النجّارين، فجعل له عكازين مما يُجعل تحت الإبط ويتوكأ

عليهما"[128].

ومما يسّر هذا الاندماج أيضا، أن غالبية المعوقين كانوا راضين عن إعاقتهم[129]؛ مثل أبي الأصبغ عيسى بن محمد بن أحمد بن المهذب بن معاوية اللخمي، من أهل إشبيلية (ت. 420هـ/1029م)، الذي "كف بصره ... بأعوام، وقد أنشد ... لنفسه هذين البيتين، يذكر فيهما عماه:

إني وإن كنتُ أعمى فالعمى سبب لجنة الخلد أو جنات فردوس

وقــد تيقنتُ أني قــاطـــن بهما منعما آمنا من عرصة البؤس"[130].

أما أبو زكرياء يحيى بن صالح المصطاوي (من أهل القرن 6هـ/12م)، وهو من أولياء مراكش؛ فـ"ما زال يبكي إلى أن سقطت عيناه من كثرة البكاء؛ فلما عمي ضاعف عبادته وأوراده شكرا لله تعالى"[131]. بل إن بعض الشعراء تمنى العمى والصمم من شدة إعجابه بممدوحه[132].

كما تباينت مواقف المجتمع من المعوقين؛ فهناك المواقف الإيجابية المتمثلة في مراعاة ظروفهم والإحسان إليهم. وفي المقابل لم يسلم المعوقون من التمثلات السلبية لبعض الشرائح الاجتماعية حولهم.

ومما يذكر حول الجانب الأول، أن جماهير بن عبد الرحمن بن جماهر الحجري، من أهل طليطلة، يكنى أبا بكر (ت.466هـ/1073م)، "كان حافظا للفقه على مالك، عارفا بالفتوى، وعقد الشروط وعللها، مشاورا في الأحكام، عالما بالنوازل والمسائل، سريع الجواب إذا سئل فيهما. وكان حسن الخلق كثير التواضع، وكان قصير القامة جدا، لما خرج بنعشه ازدحم الناس عليه حتى صار النعش في أكفهم إلى أن وصل إلى قبره مكفنا في حبره"[133]. بمعنى أن إعاقته لم تسبب له أي أثر نفسي؛ فتعلم وحظي بمكانة اجتماعية بفعل وظيفة الفتوى، التي مكنته من الاندماج الاجتماعي، والتقدير الذي حظي به من قبل المجتمع.

زيادة على ما خص به المعوقون من مراكز إيواء، ممولة من مداخيل الأوقاف؛ فقد استفتي ابن رشد الجدّ فيمن "حبَّس على ابنه وعلى عقبه وعقب عقبه؛ فإن انقرضوا رجع الوقف إلى صاحبه أو إلى أقرب الناس إليه إن كان ميتا؛ فإن انقرضوا ولم يكن للمحبس قرابة رجع إلى المرضى المجذومين والعميان بغرناطة سواء بينهم"[134].

أما الدولة فقد اعتنت بالمعوقين ضمن سياستها الصحية؛ فأقامت المستشفيات، وتكلفت بالإنفاق عليها من بيت المال؛ إذ أحدثت لهم مارستانات خاصة خارج المدن، كما هو الحال بمراكش المرابطية والموحدية[135]، وهو ما يفهم أيضا من نص لابن الخطيب (ت. 776هـ /1374م)، يتحدث فيه على "ذوي العاهات والزمانات والأمراض المعدية، الذين أمر الشرع باجتنابهم وتسليم الصدقة لهم على قيد الرمح"[136].

ولذلك أوصى السلطان النصري أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت.635هـ/1237م) بالصدقة الجارية لـ"ضعفاء أهل الحضرة وزمناهم"[137]. في حين أقدم يعقوب بن عبد الحق (656-685هـ/1258-1286م)، أحد ملوك بني مرين، عند توليته بفاس، على "صنع المارستان للمرضى والمجانين، وأجرى عليهم النفقات وجميع ما يحتاجون إليه من الأغذية والأشربة، وأمر الأطباء بتفقد أحوالهم كل يوم غدوة وعشية، وأجرى على الكل الإنفاق من بيت المال، وأجرى على الجذمى والعميان والفقراء مالا معلوما يأخذونه في كل شهر من جزية اليهود"[138].

ومن جهتهم حرص رموز المجتمعين المغربي والأندلسي على الرفق بهذه الفئة؛ فقد أوصى ابن الخطيب- وهو من خَدَمَة الدولة النصرية والمرينية- أولاده بذلك، مخاطبا إياهم: "ورقّوا على ذوي الزمانات والعاهات"[139]. أما الأطباء فقد بذلوا جهودا في العلاج، ونشر الوعي الطبي؛ منهم محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري (ت. 750هـ/1350م)، الذي كان يدرس الطب بسبتة، "ويدخل إليه أصحاب العلل والزمنى شيوخا وكهولا لحضور دولته الطبية"[140].

وعلى النقيض من ذلك، كانت الإعاقة حاضرة بقوة في الخطاب اليومي؛ سواء في اللغة والأحكام الاجتماعية، أو في الاستلطاف والمداعبات اللفظية المستحبة. فأما القدح والتنابز؛ فيمثله ما كان يلقب به البعض من إعاقة؛ فالأمير محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، الملقب بالمهدي بالله، (399-400هـ/1008-1009م)، كانت "أمه أم ولد اسمها مزنة، ولقبها كباره، وتعرف بالعرجاء لخلع كان بها"[141]. كما كني البعض بإعاقته؛ فهناك من لقّب بالأعرج[142]، وأبي العوجاء[143]، والأحدب[144]، وابن الأحدب[145]، والضرير[146]، والأصم[147]، والمكفوف أو الكفيف[148]، والمقعد[149]، والأنقر، وهو في استعمال الأندلسيين،

الأعور[150]. ولذلك كنّت العامة المنصور بن أبي عامر (327-392هـ/938-1001م) بـ"الأحدب"[151]، واللقب نفسه كني به أحد القساوسة النصارى[152]، ودعي موسى بن عيسى من صوفية بلاد الريف (من أهل القرن القرن 7هـ/13م) بـ"أطرطور"، نسبة إلى صممه[153].

وقد كانت أخلاق بعض المعوقين من دواعي المواقف السلبية للمجتمع إزاءهم؛ فأبو عثمان سعيد بن حمدون القيسي، من أهل قرطبة (ت. 378هـ/988م)، مثلا، "كان شديد الأذى بلسانه، بذيئا ثلَّابة، يتوقّاه الناس على أعراضهم، وكان أعور"[154]. مثله مثل أبي بكر المخزومي (ت. بعد 540هـ/1145م)، الذي "كان أعمى شديد القحّة والشر، معروفا بالهجاء، مسلطا على الأعراض"[155]. ومن المعوقين من مارس التسول في الطرقات والأسواق، مزعجين بذلك المارة[156].

أما عن الملاطفات والمزاج باستحضار الإعاقة؛ فقد "حكي عن الزهري خطيب إشبيلية، وكان أعرج، أنه خرج مع ولده إلى وادي إشبيلية، فصادف جماعة في مركب، وكان ذلك بقرب الأضحى؛ فقال بعضهم له: بكم هذا الخروف؟ وأشار إلى ولده، فقال له الزهري: ما هو للبيع، فقال: بكم هذا التيس؟ وأشار إلى الشيخ الزهري، فرفع رجله العرجاء وقال: هو مَعيب لا يُجزئ في الضحية، فضحك كل مَن حضر، وعجبوا من لطف خلقه"[157]. كما يندرج في هذا المظهر أيضا ما كان يثيره السكر من فضول شعري، أدى بالشعراء إلى وصف الغلمان المعوقين الذين يسخَّرون في سقي الندماء[158].

وتعد الأمثال الشعبية خير من يكشف عن حضور الإعاقة في الحياة اليومية؛ فقد فاضلت العامة بين بعض الإعاقات؛ فقالت: "أعور أخير من أعمى"[159]، وسخِرت من الحرس العميان؛ فقالت: "أعمى ويمشي في الحرس"[160]، وأشارت إلى اعتماد فاقدي البصر على العصي لمعرفة الطريق؛ فقالت: "بحل عصاة أعمى، مرَّ فالخرا، مرَّ فالبول"[161]. ويبدو أن بعض المعوقين كانوا لا يعترفون بعاهتهم، لذلك رددت العامة في أمثالها الشعبية: "أعْمى: احتَرق بيتَك، قال: طويل مَن رَّاه"، و"أعمى تر؟ قال: الله يرى"، وهو مثل من قبيل ما يسميه البلاغيون بجواب السائل بغير ما يترقب[162]. ومن أمثال العامة كذلك، قولهم: "كُسَيْرٌ وعُوَيْرٌ والثالث ليسَ فيه خير"؛ وأصل هذا المثل أن امرأة كان لها زوج أعور فمات عنها، فتزوجت من رجل أحدب، وقيل مكسور الساق، فلما دخل عليها وبنى بها، قالت المثل المذكور[163].

وبذلك أثار العمى والحول والعور اهتمام العامة؛ فكشفت بعضا من أخلاقهم، مثل ما جاء في بعض الأمثال الشعبية "أحْوَل هُو، أتوَل هو"[164]، و"أنقر هو، أوقر هو"[165]، و"أعمى هو، أشمى هو"[166]، و"الأنقر في بلاد العمي يسمى أبو العيون"[167].

أما الأصم، في تقدير العامة، فهو مجبول على البلادة والعدوانية؛ لذلك جاء في الأمثال الشعبية للمرحلة المعنية بالدراسة: "الضراط مع الأصم نزاهة"[168]، و"القط الأصم، صيح عليه وهو ما ينضم"[169]، و"الصُّم والاعدا تَمّ"[170]. أما البكم فيقترن بالحكمة، كما يقول المثل الشعبي: "أبكم هو، أحكم هو"[171]. والنظرة نفسها تنطبق على الأحدب، والأعرج؛ فمما جاء في هذا الصدد: "أحدب هو، أودب هو"، و"أعرج هو، أفرج هو"[172].

كما كان المجتمع- وحسب الخطاب الشعبي دائما- لا يعبأ بالأعمى والأعرج ولا يأخذ برأيهما؛ إذ جاء في المثل الشعبي الخاص بهما: "الأعمى والأعرج، ما عليهم حَرَج[173]"، ورغم ذلك حظي العميان بإعطاء الصدقات؛ إذ تقول العامة: "إن كان هي صدقة، العُمِيَ أوْلى بها"[174].

وعلاوة على ذلك، أرّخ المجتمع للإعاقة، من خلال نسبة بعض الأماكن إلى المعوقين؛ مثل "فحص أبي العوجاء" بجيان بالأندلس، نسبة إلى جد محمد بن يحيى الرباحي الأزدي (ت. 358هـ/968م)[175].

أما المحستبون، فكونوا صورة نمطية عن المعوقين؛ حيث ارتبط العميان لديهم بالشر وسوء الأخلاق، والتحرش بالنساء والأرامل في المقابر، لذلك أوصوا بأن "لا يجب أن يكون القــارئ على الموتى شابا ولا عزباً وإن كان أعمى؛ فالشر كثير"[176].

الإعاقة بين الطب والتصوف: استفادت الإعاقة الجسدية مما تميز به الطب والصيدلة بالمغرب والأندلس من خصائص، كالاعتماد على كليات وقواعد، أبرزها النقد والتجريب[177]. أما حضور الإعاقة في التصوف فترتبط بمؤشرين؛ فأما الأول فيعكس شدة التنافر بين المختصين بالشؤون الصحية والأولياء، حيث تردد كتب المناقب فشل الأطباء والصيادلة في معالجة بعض الإعاقات، مقابل نجاح الصلحاء في ذلك[178]. وأما الثاني فيُبرز أن المعوقين يندرجون ضمن وظائف "المجال الحيوي" للأولياء، بتداعياته القدسية، اجتماعيا وروحيا. لذلك تتماهى الإعاقة في الخطاب الصوفي بــ"المكاشفة"، التي تحقق للولي القدرة على إبراء العاهات[179].

أ- الإعاقة والطب: تتعدد الأمراض التي قد تؤدي إلى الإعاقة، ولذلك لجأ الأطباء إلى التشخيص، ثم تحديد طرق العلاج، حيث برز دور الصيدلة.

فبخصوص التشخيص، نذكر أنه قد "يحدث في الأذن ثقل سمع لحجر يصيب الأذن"[180]. وأن العينين "تحدث فيهما أمراض وآفات كثيرة منها الحول، وذلك حولان؛ حول يكون في العضلة اللحمية الخفية، وذلك يكون فيها لغلط خارج من الطبيعة قد أصابها ويكون عن بخار غليظ قد داخلها"[181]. كما قد تصاب العين أيضا بضعف البصر، وخاصة "فيمن شاخ، وفيمن أكثر من الإلمام بالنساء، أو فيمن نظر إلى عين الشمس وإلى الأنوار الساطعة"[182]. إضافة إلى "العَشا"؛ "وهو ألا يرى الإنسان شيئا من وقت الغروب"[183]، والاختلال في البصر[184].

أما العلاج؛ فثِقل السمع يعالج "بالفصد في القيفال، وتقطير زيت الورد في الأذن فاترا. وأما إن كان ذلك عن ضربة قديمة فدهن السَّوسن ودهن الشبت ودهن الأقحوان ودهن الياسمين ودهن نوى الخوخ أيها اتفق يبرئ من ذلك بإذن الله، ما لم يكن قد خرج من الأذن دم من داخلها؛ فإن كان الدم قد خرج في إثر الضربة فلا تطمع في ارتفاع ثقل السمع، ولو كان المعالج لذلك جالينوس"[185]. أما مداواة الحول؛ فالذي "يكون من غلط إن لم يكن متقادما جدا؛ فدهن السوسن ودهن الشبت مع ثلثيهما من دهن ورد يرفع ذلك إذا كمِّدَ الموضع به"[186].

كما حذر الأطباء من بعض الأدوية، لكونها مسببة لبعض الإعاقات؛ داعين إلى احترام القواعد الطبية التجريبية في العلاج؛ "فمدار الأمر في ذلك على التحفظ في الأغذية، وكذلك في سائر الآفات العارضة للبدن. فإذا كان التحفظ واجبا أن يُلتزم في آفة القدم؛ فالتزامه في آفات العينين أوجب بكثير جدا. وأما كل حريف شأنه أن يملأ الرأس كالثوم والبصل وما شاكلهما فلست أقول إنهما يضران البصر، ولكني أقول إن الثوم والبصل هما العمى بعينه"[187].

وقد كان الاكتحال من أهم السبل الوقائية والعلاجية من أمراض العيون التي قد تفضي إلى العمى؛ وهو ما يسمى بـ"الشِّيَّاف"، وهو عبارة عن خليط من العقاقير، يقطر بعضها في العين، أو تضمد ببعضها الآخر[188]، ومنها ما لا يصلح إلا "للمستكملين والكهول والمشايخ"[189].

ولذلك عمد البعض إلى الاكتحال؛ فعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن القيسي، المعروف بابن الجبار (ت.436هـ/1044م)، "كان كثيرا ما يكتحل بالإثمد، ويجلس للسماع متحببا،

ورما عقد حبوته بطرف ردائه، ...يوالي الاكتحال بالإثمد، ويحض عليه فقل ما يرى إلا محشو العين به. ويقول كثيرا: لا تمنعوا العين قوتها، فتمنعكم ضوءها"[190]. وقد سبقت الإشارة إلى جهود الدولة في إقامة المستشفيات لمعالجة بعض الإعاقات، وتمويل ذلك من بيت المال.

ب- الإعاقة والتصوف: لم يسلم الأولياء من الإعاقة؛ فمنهم من كان أعمى[191]، ومنهم من "ما زال يبكي إلى أن سقطت عيناه من كثرة البكاء"[192]، ومنهم من دعا على نفسه بالعمى[193]، ومنهم من كان أعرج[194]، أو أصم[195].

أما ثنائية صلة الإعاقة بالكرامة؛ فهي دعاء الولي على الغير بذلك، ومداواة الصوفية لذوي العاهات. فمما يذكر بخصوص الأمر الأول أن أبا محمد مكي بن أبي طالب القيسي المقرئ، (ت. 437هـ/1045م)، "كان ...بقرطبة رجل فيه بعض الحدّة، وكان له على الشيخ أبي محمد مكي المقرئ تسلط، كان يدنو منه إذا خطب فيغمزه، ويحصي عليه سقطاته، وكان الشيخ كثيرا ما يتلعثم ويتوقف. فجاء ذلك الرجل في بعض الجمع، وجعل يحد النظر إلى الشيخ، ويغمزه؛ فلما خرج ونزل... في موضعه الذي كان يقرأ فيه، قال: ... أمّنوا على دعائي، ثم رفع يديه، وقال: اللهم اكفينه، اللهم اكفينه، اللهم اكفينه، ...قال: فأقعد الرجل، وما دخل الجامع بعد ذلك اليوم"[196].

أما التجاء المعوقين إلى الأولياء، فكان المقصد منه هو الرغبة في أن تعمهم قدسية الكرامات الصوفية وحيويتها، حيث تتكرر الروايات التي ترصد من "يبرئ الأدواء والعاهات"[197]؛ فببركة دعاء أبي الحسن علي بن حرزهم (ت.559هـ/1163م)، شفي صبي من مكناسة كان أصيب بالبكم لمدة أربعة أعوام[198]. كما استغل رجل من مدينة فاس نزول الولي نفسه للمبيت عنده؛ فسأله الدعاء بالشفاء لـ"امرأة لها مدة أعوام مريضة، مقعودة من أوجاع بوركيها"[199]. وقام بالأمر نفسه أبو يعزى يلنور (ت.572هـ/1176م) عند ما مسح بيديه على أعمى فأبصر[200]. أما ابنه أبو علي؛ فـ"جيء له برجل قعد عن الحركة؛ فما زال يتفل عليه حتى قام"[201]. في حين تدخّل أبو محمد عبد الله بن مُعلّى لمداواة أحد المغاربة، الذي "ضربته سكين في عينه الواحدة، وكان الحكيم ابن عمّار يعالجها، فقال له الحكيم ابن عمار: لا تسرف في علاج عينك؛ فقد فسدت ولا تنتفع بها"[202]. أما أبو الحسن الغزيّ (من أهل القرن 6هـ/12م)، أحد أولياء فاس؛ فقد "دعا لامرأة كانت مقعدة فوقفت"[203]. وأبو الحجاج يوسف بن المعز الجابري (ت.

773هـ/1371م)، من متصوفة سلا، الذي "حدث أنه... أعطاه رجال من أهل الغيب شيئا من الحناء، وقالوا له: ارجع إلى الناس بهذه الحناء، فلا تضعها في ذي عاهة إلا شفاه الله تعالى، قال: وتعلمت بعد ذلك صناعة الجبر؛ فصرت إذا ربطت مكسورا، أو مكفوفا أجعل عليه شيئا من الحناء، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى"[204]. أما كرامات أبي العباس بن مرزوق (من أهل القرن 8هـ/14م) فشملت أحد العميان، بعد أن عجز الأطباء عن مداواته؛ إذ يحكي المصاب قائلا: "عرضت لي العلة التي أعيى الأطباء طبها، وهي ما نزل في عيني، فقدت بسببها بصري، فصرت أستغيث بالشيخ، رضي الله عنه، ووجهت إليه، فقال لي: ستبرأ، إن شاء الله عز وجل، ويعود بصرك أحسن ما كان، وبعث لي بشيء جعلته على بصري إثر القدح، فإني قدحت عني، فشفيت للحين"[205].

وللشرفاء الأمغاريين بركة استفاد منها المرضى عموما بمن فيهم المعوقين؛ فمن الفضائل القدسية لعين الفطر، التي ارتبطت بهم أن من به "علة في جسده إذا اغتسل منها أو شرب؛ فإنه يبرأ"[206]. وأن أبا جعفر يعقوب بن أبي عبد الله قال لما حضرته الوفاة قال: "من به علة ولم يجد شفاء لها فتراب قبري شفاء لها"[207]. وأن "الموضع الذي يتوضأ منه أبو يعقوب الشريف الأمغاري، ...يقال له... ساقية العابد؛ من استشفى بالاغتسال منها شفاه الله من مرضه، كائنا من كان، حتى إن المرضى يأتونها من كل موضع"[208]. وبرباط شاكر بآسفي عالج أحد الأولياء رجلا به أصابه البكم؛ "فأطلق لسانه فتكلم"[209].

وقد حضر ابن قنفذ سنة 769هـ/1367م موسما دينيا أقيم بمناسبة المولد النبوي بدكالة بين آسفي وتيطنفطر، حضرته الطوائف الصوفية السبعة؛ "ووردت عليهم أصحاب العلل المزمنة كالمقعدين وغيرهم، ...يتزاحمون في حلق الذكر، والمريض يتضرع ويرغب في صلاح جسده كأنه يطلب قوته؛ فيقوم من يأخذ بيد المريض ويصرفه وقد رجعت إليه صحته. ومنهم من يضربه بطرف كساء فيقوم كأنه حل من عقال، ثم يختلط الرجل الذي يفعل ذلك بالقوم ولا يعرف شخصه. [وأن] ولدا قرب الحلم سيق إلى حلقة الذكر وفي ركبتيه تنج يابس جدا، رق عظمه منه، ولا يستطيع مد ساقيه معه؛ فقام إليه رجل رقيق أصفر اللون، ...وأتى إلى الصبي، ...ومسح بيده على ركبتيه ومد له ساقيه؛ فامتدا وخفف الله عنه، وفرح الولد وضحك لقوة سروره بصحته، إلا أنه لم يكمل برؤه"[210].

وإذا كانت المصادر تتحدث أكثر، بخصوص الكرامة والإعاقة، عن الرجل؛ فإن الصلاح لم يعدم المرأة المتصوفة، التي لم تسلم هي الأخرى من العمى؛ إذ تتحدث إحدى الروايات عن "امرأة متعبدة ضريرة"[211].

خـــاتمـــة: وهكذا يتبين مفهوم الإعاقة الجسدية، وأنواعها، وأسبابها، وموقف الدولة والمجتمع منها، وموقعها بين الطب والتصوف بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط. وهي قضايا تمثل أنموذجا لموضوعات التاريخ الاجتماعي والثقافي للغرب الإسلامي، والتي من شأن تناولها وفق مفهوم جديد للوثيقة والزمن والمجال أن تزاوج بين إعادة بناء الماضي من جهة، والراهنية من جهة ثانية، وهو ما يسعف في تجديد آليات الصنعة لدى المهتم بتاريخ العصر الوسيط.

الهوامش:

1- ابن رشد: الكليات في الطب، ط2، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008م، ص: 219.

2- ابن بشكوال: الصلة، تحقيق: شريف أبو العلاء العدوي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1429هـ/2008م، ج2، ص: 235.

3- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1429هـ/2008م، ج1، ص: 396.

4- الجاحظ: البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، 1410هـ/1990م، ص: 31.

5- نفسه، ص: 35.- - - -

6- نفسه، ص: 36، 37.

7- مصطفى بنحمزة: حقوق المعوقين في الإسلام، ط2، طوب بريس، الرباط، 2010م.

8- ابن رشد: الكليات في الطب، ص: 270. الزهراوي: التصريف لمن عجز عن التأليف، مخطوط بجامعة الملك سعود، رقم: 4720، ورقة: 41ب.

9- ابن رشد: الكليات في الطب، ص: 270، ص: 270.

10- ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، مطبعة أكدال، الرباط، 1965م، ص: 71.

11- ابن مغيث: المقنع في علم الشروط، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ/2000م، ص: 103، 104.

12- ابن رشد: المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1988م، ج2، ص: 271، 272.

13- ابن عبد الرفيع: معين الحكام على القضايا والأحكام، تحقيق: محمد بن قاسم بن عياد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989م، ج1، ص: 222.

14- الجزيري: المقصد المحمود في تلخيص الوثائق والعقود، جامعة هارفاد، Manuscript, 1704. MS Arab 183، ورقة: 15ب.

15- الغرناطي: الوثائق المختصرة، أعدها: مصطفى ناجي، ط1، منشورات مركز إحياء التراث المغربي، الرباط، 1408هـ/1988م، ص: 48. الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: جماعي تحت إشراف: محمد حجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، ج6، ص: 48. لمزيد من التفاصيل، راجع: عبد الإله بنلمليح: الرق في بلاد المغرب والأندلس، ط1، الانتشار العربي، بيروت، 2004م، صص: 290- 299.

16- ابن رشد: فتاوى ابن رشد، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1407هـ/1987م، س3، ص: 1320.

17- نفسه، س1، ص: 353. الونشريسي: المعيار، ج9، ص: 209.- - - -

18- ابن مغيث: المقنع، ص: 209.

19- الجزيري: المقصد المحمود، ورقة: 31أ، 31ب.

20- ابن فرحون: تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، تحقيق: جمال مرعشلي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ/1995م، ج1، ص: 81، 82.- - - - -

21- ابن الحاج: فتاوى ابن الحاج، مخطوط خاص، ص: 112.

22- ابن مغيث: المقنع، ص: 103، 104.

23- ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج.س.كولان وإ.ليفي بروفنسال، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، بيروت، 1983م، ج3، ص: 50. نفسه: البيان المغرب (ق.موح)، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد زنيبر ومحمد بن تاويت وعبد القادر زمامة، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1406هـ، 1985م، ص: 128. البادسي: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق: سعيد أعراب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1414هـ/1993م، ص: 110. المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/1968م، م3، ص: 384.

24- الحضرمي: السلسل العذب والمنهل الأحلى، تحقيق: محمد الفاسي، مجلة المخطوطات العربية، القاهرة، المجلد 10، ج1، 1964م، ص: 73.

25- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج2، ص: 107. ابن مغيث: المقنع، ص: 103، 104. القاضي عياض: الغنية (فهرست شيوخ القاضي عياض)، تحقيق: ماهر زهير جرار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ/1982م، ص: 123، 124، 213. ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص: 280. الزيات: التشوف إلى رجال التشوف، تحقيق: أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م، ص: 295. التميمي: المستفاد في مناقب العبَّاد، بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق: محمد الشريف، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي بتطوان، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2002م، ق2، ص: 92. ابن قنفذ: أنس الفقير، ص: 29. ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، تحقيق: سلوى الزاهري، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1429هـ/2008م، ص: 226.

26- ابن عذاري: البيان المغرب، تحقيق ومراجعة: ج.س.كولان وإ.ليفي بروفنسال، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، بيروت، 1983م، ج2، ص: 281. نفسه: البيان المغرب (ق.موح)، ص: 125. ابن خفاجة: ديوان ابن خفاجة، مطبعة جمعية المعارف، مصر، 1286هـ، ص: 58، 75. ابن عاصم: حدائق الأزاهر، طبعة حجرية، فاس، مثل رقم: 52.

27- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج2، ص: 227. الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق: ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، منشورات المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ومعهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، 1991م، ص: 376.

28- ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص: 158، 166، 191. ابن عذاري: البيان المغرب (ق.موح)، ص: 128.

29- ابن زهر: التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق: ميشيل الخوري، ط1، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الفكر، دمشق، 1402هـ/1983م، ج1، ص: 47.

30- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص: 109، 244، 405، ج2، ص: 145.

31- نفسه، ج1، ص: 99، ج2، ص: 70، 90، 116، 201، 214، 247. الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1392هـ/1973م، ص: 303. القاضي عياض: الغنية، ص: 97، 190. ابن عطية: فهرس ابن عطية، تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص: 74. ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص: 74، 76، 113، 255. ابن الزيات: التشوف، ص: 105، 387. التميمي: المستفاد، ق2، ص: 81، 211. ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1965م، س5، ق1، ص: 202، 207. ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص: 170. ابن قنفذ: أنس الفقير، ص: 15. المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة فضالة، المحمدية، 1978م، ج3، ص: 157.- - - - -

32- ابن فرحون: تبصرة الحكام، ج1، ص: 23.

33- الزبيدي: طبقات النحويين، ص: 306. ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص: 350. والأصم الأصلخ، هو الأصم الذي ذهب سمعه بالكلية؛ قيل «صَلِخَ سمعه؛ ... ذهب فلا يسمع شيئا البتة)). ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1968م، (مادة صلخ)، م3، ص: 34.

34- القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد سالم هاشم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1998م، ج1، ص: 178، 179، 181.- - - -

35- ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص: 215.

36- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج2، ص: 227. الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين، ص: 376.

37- ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص: 58، 75.- - - - -

38- ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص: 166.

39- نفسه، ج1، ص: 215.- - - - -

40- ابن عذاري: البيان المغرب (ق. موح)، ص: 128.

41- ابن رشد: الكليات في الطب، ص: 237، 238.- - - - -

42- ابن الزيات: التشوف، ص: 131.

43- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج2، ص: 6. الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م، ص: 314. الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م، ص: 405.- - - - -

44- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج2، ص: 70.

45- الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين، ص: 73.----
46- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج2، ص: 214.
47- نفسه، ص: 101.----- 48- نفسه، ص: 247.
49- نفسه، ص: 107.----- 50- نفسه، ص: 116.
51- ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص: 113.----- 52- نفسه، ص: 74.
53- نفسه، ص: 255.----- 54- نفسه، ج2، ص: 280.
55- نفسه، ص: 313.----- 56- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص: 99.
57- نفسه، ص: 177.----- 58- ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص: 200.
59- القاضي عياض: الغنية، ص: 123، 124.----- 60- نفسه، ص: 190.
61- نفسه، ص: 220.----- 62- نفسه، ص: 97. المقري: أزهار الرياض، ج3، ص: 157.
63- ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة/دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ/1989م، ص: 149.----- 64- القاضي عياض: الغنية، ص: 213.
65- ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، س5، ق1، ص: 238، 239.--- 66- الحضرمي: السلسل العذب، ص: 87، 88.
67- ابن زهر: التيسير في المداواة، ج1، ص: 39.----- 68- نفسه، ص: 47.
69- التميمي: المستفاد، ق2، ص: 22. ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، دراسة وتحقيق: زهراء النظام، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، سلسلة: رسائل وأطروحات، رقم 35، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م، ص: 63.----- 70- التميمي: المستفاد، ق2، ص: 37.
71- ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص: 226.----- 72- ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص: 290.
73- الشعبي: أحكام الشعبي، تحقيق: الصادق الحلوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ص: 345، 346. ابن بشتغير: نوازل ابن بشتغير، تحقيق: قطب الريسوني، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1429هـ/2008م، ص: 305. الونشريسي: المعيار، ج2، ص: 295.
74- ابن الخطيب: عمل من طب لمن حب، مخطوط بخزانة القرويين، فاس، رقم: 607، ص: 1. مؤلف مجهول: شرح قصيدة ابن سينا في الطب، مخطوط بخزانة الجامع الكبير، مكناس، رقم: 522، ص: 4، 6، 21.
75- ابن رشد: رسائل ابن رشد الطبية، تحقيق: جورج شحاتة قنواتي وسعيد زايد، تقديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1407هـ/1987م، ص: 87، 88.
76- ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص: 92، 101.
77- ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ/1992م، ج2، ص: 327.
78- ابن بشتغير: نوازل ابن بشتغير، ص: 305. الونشريسي: المعيار، ج2، ص: 295.---- 79- ابن البيطار: الجامع، ج2، ص: 327.
80- ابن عبدون: رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق: إ.ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص: 46.
81- القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج1، ص: 195.
82- الزهراوي: التصريف، ورقة: 41ب. ابن زهر: التيسير في المداواة، ج1، ص: 40.
83- الشعبي: أحكام الشعبي، ص: 247. ابن بشتغير: نوازل ابن بشتغير، ص: 306، 307.
84- الشعبي: أحكام الشعبي، ص: 408، 409. ابن بشتغير: نوازل ابن بشتغير، ص: 307.
85- الشعبي: أحكام الشعبي، ص: 348. ابن بشتغير: نوازل ابن بشتغير، ص: 309.---- 86- ابن الزيات: التشوف، ص: 227.
87- التميمي: المستفاد، ق2، ص: 74.----- 88- البادسي: المقصد الشريف، ص: 132.
89- نفسه، ص: 110.----- 90- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص: 405.
91- ابن الخطيب: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق: محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009م، ص: 86.
92- ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص: 223.----- 93- نفسه، ج2، ص: 316.
94- نفسه، ص: 33.----- 95- ابن الزيات: التشوف، ص: 362.
96- ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص: 202.----- 97- ابن الزيات: التشوف، ص: 396. ابن قنفذ: أنس الفقير، ص: 33.
98- ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص: 241.----- 99- البادسي: المقصد الشريف، ص: 52، 53.
100- ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص 266.----- 101- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص: 109، ج2، ص: 145، 177.
102- ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص: 76، 316، ج2، ص: 142، 225.
103- النباهي: المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا (تاريخ قضاة الأندلس)، ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ/1983م، ص: 5، 6.

104- ابن الجوزي: أخبار الحمقى والمغفلين، شرح: عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1410هـ/1990م، ص: 111.

105- ابن رشد: المقدمات الممهدات، ج2، ص: 259. الرجراجي: مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة وحل مشكلاتها، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي/الدار البيضاء، دار ابن حزم/بيروت، 1426هـ/2007م، ج8، صص: 60-63. ابن فرحون: تبصرة الحكام، ج1، صص: 21- 23. الحطاب: مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ/1995م، ج8، ص: 81، 82. الونشريسي: كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، نشر وتعليق: محمد الأمين بلغيث، منشورات لافوميك، الجزائر، 1985م، ص: 42.

106- الرجراجي: مناهج التحصيل، ج8، ص: 60. وهو ما يفهم من نظم ابن عاصم:

وَأَنْ يَكُونَ ذَكَراً حُرّاً سَلِمْ مِنْ فَقْدِ رُؤْيَةٍ وَسَمْعٍ وَكَلِمْ

ابن عاصم: تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1432هـ/2011م، ص: 18. ابن عاصم: شرح تحفة ابن عاصم، مخطوط بخزانة الجامع الكبير، مكناس، رقم: 278، ص: 16.

107- لذلك يقول ابن عاشر في شروط الإمام:

شَرْطُ الإِمَامِ ذَكَرٌ مُكَلَّفُ آتٍ بالأَرْكَانِ وَحُكْماً يَعْرِفُ [...]

وكَالأَشَلِّ وَإِمَامَةٌ بلَا رداً بِمَسْجد صَلَاةُ تُجْتَلَى [...]

وَجَازَ عِنِّينٌ وَأَعْمَى أَلْكَنُ مُجَذَّمٌ خَفَّ وَهَذَا الممْكِنُ

ابن عاشر: المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، مكتبة القاهرة، د.ت، ص: 14، 15.

108- القاضي عياض: الغنية، ص: 76.----
109- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج2، ص: 145.

110- نفسه، ص: 147.-----
111- ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص: 191.

112- عن أهمية هذه الطرق التعليمية وشروطها، يراجع: ابن خير: فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، تحقيق، فرنسشكه قداره زيدين وخليان ربارة طرغوه، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/1997م، صص: 12- 22. سعيد بنحمادة: النظام التعليمي بالمغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، منشورات الزمن، سلسلة قضايا تاريخية 12، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2011م، صص: 27- 56.----
113- ابن عطية، فهرس ابن عطية، ص: 74.

114- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج2، ص: 90.----
115- ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص: 127.

116- نفسه، ج2، ص: 166.-----
117- نفسه، ص: 59.

118- نفسه، ج1، ص: 259.-----
119- ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص: 206.

120- نفسه، ج1، ص: 119.-----
121- ابن قنفذ: أنس الفقير، ص: 78.

122- مؤلف مجهول: مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق، الرباط، 2005م، ص: 164.

123- ابن عذاري: البيان المغرب (ق. موح)، ص: 128.----
124- الزبيدي: طبقات النحويين، ص: 303.

125- تقول العامة: "بحل عصاة أعمى، مرَّ فالخرا، مرَّ فالبول". الزجالي: ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام (أمثال العوام في الأندلس)، تحقيق: محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصيل، فاس، 1971م، مثل رقم: 608، ق2، ص: 137.

126- الزبيدي: طبقات النحويين، ص: 306. ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص: 350.

127- ابن الزيات: التشوف، ص: 271.----
128- ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص: 227.

129- عن بعض مواقف العميان من إعاقتهم، يراجع: محمد حقي: الموقف من المرض والموت في المغرب و الأندلس، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط، 2001م، (مرقونة)، ص: 43، 60، 61، 62.

130- ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص: 73.---
131- ابن الزيات: التشوف، ص: 362. ابن قنفذ: أنس الفقير، ص: 33.

132- يقول: بدا وجهه فاشتهيتُ العمى وكلّمني فاستزتُ الصمم

ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1417هـ/1997م، ق4، م1، ص: 118.

133- ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص: 158.----
134- ابن رشد: فتاوى ابن رشد، س1، ص: 624.

135- كانت "حارة الجذماء" من جملة ما أقيم جنوبي مدينة مراكش خارج باب أغمات. ابن الزيات: التشوف، ص: 312، 348.

136- ابن الخطيب: مثلى الطريقة في ذم الوثيقة، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، ط2، مجلة معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للثقافة والفنون والعلوم، م12، ج2، 1418هـ/1997م، ص: 120.----
137- ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص: 68.

138- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص: 298. الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/1997م، ج3، ص: 65.

139- ابن الخطيب: وصية ابن الخطيب إلى أولاده، مخطوط بخزانة القرويين، فاس، رقم: 627/40، ص: 151. المقري: نفح الطيب، م7، ص: 403.

140- مؤلف مجهول: بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، المطبعة الملكية، الرباط، 1984م، ص: 25.----- 141- ابن عذاري: البيان المغرب، ج3، ص: 50.

142- الزبيدي: طبقات النحويين، ص: 299. ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص: 87، 88.

143- الزبيدي: طبقات النحويين، ص : 310.

144- نفسه، ص: 257. ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص: 309. ابن عذاري: البيان المغرب (ق.موح)، ص: 125.

145- ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص: 169.

146- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج2، ص: 116. القاضي عياض: الغنية، ص: 170، 226. ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص: 314. ابن الزيات: التشوف، ص: 105. المقري، أزهار الرياض، ج3، ص: 161.---- 147- ابن الزيات: التشوف، ص: 155.

148- الزبيدي: طبقات النحويين، ص: 303. ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص: 95، 107، 148، 207، ج2، ص: 62. الحميدي: جذوة المقتبس، ص: 83. مؤلف مجهول: مفاخر البربر، ص: 164. ابن عطية: فهرس ابن عطية، ص: 74.

149- القاضي عياض: الغنية، ص: 157.----- 150- ابن عذاري: البيان المغرب، ج2، ص: 97، 122.

R. Dozy, Supplément aux dictionnaires arabes, Librairie du Liban, Beyrouth, t2, p: 711.

ولذلك جاء في أمثال العوام: "الاثْقَر في بلاد العُمِي يسمَّى أبو العيون". الزجالي: ري الأوام، مثل رقم: 147، ق2، ص: 39.

151- وفي ذلك يقول أحد الشعراء: أيكون حيّا من أمية واحد ويسوس ضخمَ المُلْك هذا الأحدب

ابن عذاري: المغرب، ج2، ص: 281.---- 152- نفسه (ق. موح)، ص: 125.

153- البادسي: المقصد الشريف، ص: 113.---- 154- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص: 244.

155- ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1393هـ/1973م، م1، ص: 424. المقري: نفح الطيب، م1، ص: 190.

156- ابن عبد الرؤوف:، رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، ضمن ثلاث رسائل في الحسبة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، 1955م، ص: 113.----- 157- المقري: نفح الطيب، م3، ص: 384.

158- يقول ابن خفاجة في وصف أحدب أسود يسقي:

رب ابن ليل سقانا والشمس تطلع غره
فظل يسوّد لونا والكأس تسطع حمره
كأنه كيس فحم قد أوقدت فيه جمره
وللمدام مدير يشب جمرة خمره
تضاحكت عن حباب بقبل الماء ثغره
فظلت آخذ ياقو ته وأصرف دره
حتى تثنيت غصنا واصفرت الشمس نقره
وارتد للشمس طرف به من السقم فتره
يجول للغيم كحل فيه وللقطر عبر

ويقول في مقطوعة مماثلة:

وكأس أنس قد جلتها المنى فباتت النفس بها معرسه
طاف بها أسود محدودب يطرب من يلهو به مجلسه

نفسه، ص: 58، 75.

159- الزجالي: ري الأوام، مثل رقم: 383، ق2، ص: 87. لذلك جاء في بعض الأشعار:

والأعور الممقوت في قبحه خير من الأعمى على كل حال
وربما ابتهج الأعمى بحالته لأنه قد نجا من طيرة العور

نفسه، ص: 87.---- 160- نفسه، مثل رقم: 305، ص: 72.

161- نفسه، مثل رقم: 608، ص: 137.- - - - 162- نفسه، مثلان رقم: 70، 90، ص: 20، 26.

163- ابن هشام: المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنّان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1995م، ص: 236.- - - - 164- الزجالي: ري الأوام، مثل رقم: 536، ق2، ص: 120. وأتول معناها أحذق.

165- نفسه، مثل رقم: 539، ص: 121. والأنقر الأعور.- - - 166- نفسه، مثل رقم: 543، ص: 121.

167- نفسه، مثل رقم: 147، ص: 39.- - - - 168- نفسه، مثل رقم: 243، ص: 61. ابن عاصم: حدائق الأزاهر، مثل رقم: 179.

169- الزجالي: ري الأوام، مثل رقم: 376، ق2، ص: 86.- - - - 170- نفسه، مثل رقم: 438، ص: 98.

171- نفسه، مثل رقم: 537، ص: 121.- - - - 172- نفسه، مثلان رقم: 540، 542، ص: 121.

173- نفسه، مثل رقم: 153، ص: 40. والمثل مقتبس من قوله تعالى: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾. [النور: 61].

174- الزجالي: ري الأوام، ق2، مثل رقم: 156، ص: 41. وقد رجح حقق الكتاب أنه من أمثال مراكش التي عاش فيها الزجالي زمنا، ولم يستبعد لذلك أن تكون له صلة بحركة الولي أبي العباس السبتي في الدعوة إلى الجود وحماية الفقراء عامة والعميان خاصة، ما يزال مثواه مأوى للعميان من كل الجهات، حيث لهم صندوق يوزع بنظام عليهم.

175- الزبيدي: طبقات النحويين، ص: 310.- - - - - 176- ابن عبدون: رسالة في القضاء والحسبة، ص: 27.

177- ابن زهر: التيسير في المداواة، ج1، ص: 40.- - - 178- التميمي: المستفاد، ق2، ص: 74. ابن قنفذ: أنس الفقير، ص: 31، 88.

179- ابن قنفذ: أنس الفقير، ص: 10. كما أن الحضور القوي لإعاقة العمى في الخطاب الصوفي، حيث تقترن بالابتلاء في المعراج الصوفي، وهو ما نؤكد معه أن الكرامة الصوفية هي تجديد للقدسي؛ والولاية هي إعادة إنتاج للنبوة؛ فالكرامة «إن وقعت لولي فهي دالة على صدق عبادته وعلو مكانته، بشرط اتباعه لحقيقة ما أمر به النبي عليه السلام)). الماجري: المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح، ط1، المطبعة المصرية، 1352هـ/1933م، ص: 80، 81. لأن «العارف أنموذج مختصر من النبي)). ابن الخطيب: روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق: محمد الكتاني، دار الثقافة، بيروت، 1970م، ج2، ص: 414. بدليل ابتلاء النبي يعقوب، عليه السلام، بالعمى بسبب ما حصل لابنه النبي يوسف، عليه السلام، وأخيه؛ إذ يقول تعالى: ﴿وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾. [يوسف: 84].

180- ابن زهر: التيسير في المداواة، ج1، ص: 39.- - - - 181- نفسه، ص: 47.

182- نفسه، ص: 67.- - - - 183- نفسه، ص: 67.

184- نفسه، ص: 69.- - - - 185- نفسه، ص: 40.

186- نفسه، ص: 47.- - - - 187- نفسه، ص: 69.

188- نفسه، ص: 60، 61، 62.- - - - 189- نفسه، ص: 62.

190- ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص: 295.

191- ابن الزيات: التشوف، ص: 357، 440. التميمي: المستفاد، ق2، ص: 81. البادسي: المقصد الشريف، ص: 147.

192- ابن الزيات: التشوف، ص: 362.- - - - 193- البادسي: المقصد الشريف، ص: 52، 53.

194- نفسه، ص: 110.- - - - 195- نفسه، ص: 113.

196- ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص: 266.- - - 197- البادسي: المقصد الشريف، ص: 59.

198- التميمي: المستفاد، ق2، ص: 20. - - - - 199- نفسه، ص: 22. ابن عيشون: الروض العطر، ص: 63.

200- ابن الزيات: التشوف، ص: 321. ابن قنفذ: أنس الفقير، ص: 15.- - - 201- ابن قنفذ: أنس الفقير، ص: 29.

202- التميمي: المستفاد، ق2، ص: 74، 75.- - - - 203- نفسه، ص: 92.

204- الحضرمي: السلسل العذب، ص: 95.- - - - 205- ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، ص: 263.

206- الزموري: بهجة الناظرين وأنس الحاضرين، تحقيق: علي الجاوي، رسالة لنيل شهادة الدراسات الجامعية العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1986/1985م، (مرقونة)، ص: 55.- - - - 207- نفسه، ص: 116.

208- نفسه، ص: 141، 142.- - - - 209- نفسه، ص: 175.

210- ابن قنفذ: أنس الفقير، ص: 71، 72.- - - - 211- نفسه، ص: 73.